المصدر : الاهـــرام
التاريخ : ١١ يونية ٢٠٠٠

تاركا بلاده فى مفترق طرق صعب:

سـوريا بعد رحيـل الأسـد

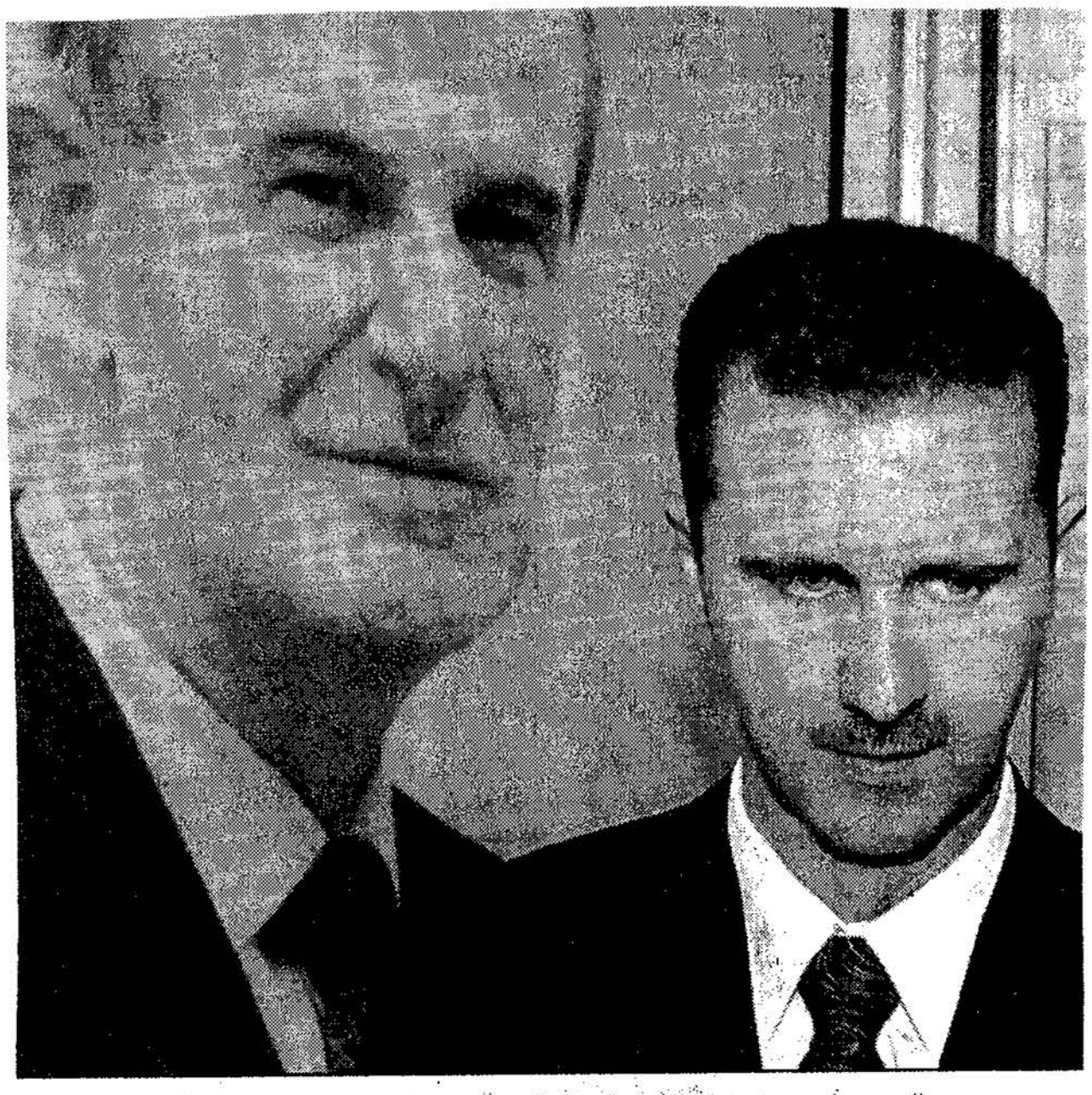

الحزن على وجه بشار الأسد لوفاة والده الذى يظهر فى الصورة خلفه
«صورة خاصة للأهرام من أ. ب»

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

رحل الرئيس حافظ الأسد أمس تاركا بلاده فى مفترق طرق يصعب القول بأنه ليس صعبا. فبعد نحو ثلاثين عاما فى قمة السلطة، وشاء القدر أن يأتى رحيله فى المرحلة التى فتحت فيها أهم الملفات داخليا وخارجيا، وفى مقدمتها ملف الخلافة السياسية وما يرتبط به من إعادة ترتيب الأوضاع الداخلية، وملف عملية السلام وما يقترن به من إعادة توجيه سياسة سوريا الخارجية.

فعلى الصعيد الداخلى كان واضحا منذ أكثر من عامين أن الرئيس الراحل يعد نجله بشار لقيادة البلاد بعده، ولكن كان ظاهرا كذلك أن هذه عملية تحتاج إلى وقت ليس قصيرا لاستكمالها، خصوصا من أجل تأمين ولاء الجيش الكامل للرئيس الابن باعتبار أن المؤسسة العسكرية هى مفتاح السلطة فى سوريا.

وتتوافر مؤشرات على أن عملية الإعداد والتأمين هذه كانت تسير فى طريقها بمعدلات معقولة، لكن دلت مؤشرات أخرى على أنها تواجه مقاومة غير معلنة غالبا فى بعض قطاعات الجيش، وخصوصا فى الجيل الأقدم أو الحرس القديم. وربما يفسر ذلك ما حدث من إبعاد لبعض القادة الذين كان استبعادهم مفاجئا لمن يعرف مدى أهميتهم لنظام الحكم والأدوار التى لعبوها لدعم ركائزه لفترة طويلة، ومع ذلك فقد حققت عملية إعداد بشار الأسد للرئاسة تقدما ملموسا، خاصة فى أوساط الأجيال الأصغر والجيل الوسيط سواء فى المؤسسة العسكرية أو خارجها، وهى الأجيال التى تستبشر بوجود قيادة شابة ترفع شعارات التجديد والتعبير والتحديث والانفتاح.

ولكن ظل استكمال هذه العملية فى حاجة إلى وقت حتى على صعيد المؤسسة المدنية الأكثر أهمية، وهى حزب البعث الحاكم، وكان هناك ترتيب لانعقاد المؤتمر العام التاسع للحزب خلال أسابيع فى أجواء ترقب لما كان مقررا أن يشهده من ترتيبات جديدة أهمها تأهيل بشار الأسد من خلال انتخابه عضوا فى القيادة القطرية التى تضم ٢١ عضوا ينتخبهم الف عضو يحضرون المؤتمر، وهى القيادة التى تصدق على ترشيح الرئيس الجديد.

وهذا إجراء قد يبدو شكليا للكثيرين، لكنه يكتسب دلالته من الأهمية التى تحظى بها الجوانب الرمزية فى نظام الحكم السورى، وتزداد هذه الأهمية فى حالة السعى إلى بناء شرعية سياسية جديدة.

ومثلما بدأ استبعاد بعض العسكريين من الحرس القديم فى إطار عملية إعداد بشار الأسد للرئاسة، تكفلت الانتخابات التمهيدية لمؤتمرا البعث التاسع بإسقاط قيادات حزبية بعيدة عن دائرة الولاءات الجديدة الجارى صنعها، وبدا أن هذه العملية تعتمد على قوعد شابة جديدة متحمسة بالفعل لتغيير تعرض به شعارات بشار.

غير أن أهم ما لفت الانتباه فى سياق هذه العملية، هو ارتباطها بحملة متنامية لمكافحة الفساد ساد اعتقاد فى أنها تندرج فى إطار خطة بناء الشرعية السياسية الجديدة.

وجاء انتحار رئيس الوزراء السباق محمود الزعبى أخيرا بعد اتهامه بالفساد والإضرار باقتصاد الدولة، ليعطى هذه الحملة أبعادا درامية، ويوحى بأن المسئول المنتحر ربما يكون رأس الذئب الطائر فيها. ومع ذلك فإن عملية بناء الشرعية الجديدة لم تكتمل، ومازال بشار الأسد أقرب إلى ممثل نهج وجناح جديدين فى سوريا أكثر منه مرشحا موضع إجماع داخل النظام. وربما يدل على ذلك أن تقديرات العارفين بالتكوين السياسى السورى لنصيب أنصار بشار فى الحكومة الحالية - التى تشكلت فى مارس برئاسة مصطفى ميرو - يتراوح بين ٤٠٪ و٥٠٪ فقط، كما أن اقتران عملية إعداده للرئاسة بشعارات عن التجديد والتحديث، فضلا من التطهير، أدى إلى توسيع دائرة المتضررين خصوصا أولئك الذين يخشون أن تطولهم حملات مكافحة الفساد التى مازالت فى بدايتها.

وإذا كان الملف الداخلى مفتوحا على هذا النحو، فالأمر كذلك بالنسبة إلى الملف الخارجى الذى تقع عملية السلام والمفاوضات المتوقفة مع إسرائيل فى موقع القلب منه، وبعد أن بدا فى مطلع العام الجارى أن هذا الملف قاب قوسين او ادنى من الاغلاق إذا بعاد فتحه على نطاق أوسع بعد الانسحاب الإسرائيلى من جنوب لبنان وما يفرضه من تداعيات فى اللحظة التى رحل فيها الرئيس الأسد. وعلى الرغم من الصورة المهينة التى ارتسمت لإسرائيل إبان تدافع جنودها للهرب من جنوب لبنان، فإنها نجحت فى توجيه أنظار العالم نحو سوريا ترقبا لما ستفعله فى لبنان وانتظارا لما سيحدث على صعيد المفاوضات المجمدة.

لقد توقفت المفاوضات، ومازالت، بسبب الخلاف على كيفية تحديد بعض نقاط خط الرابع من يونيو ١٩٦٧ الذى تصر سوريا على أن يكون انسحاب القوات الإسرائيلية إليه. ويتركز هذا الخلاف على بحيرة طبريا بما يضمن ذلك من ارتباط وتداخل بين قضيتى الحدود والموارد المائية.

وبدلا من أن تؤدى القمة الأخيرة للرئيس الأسد مع الرئيس كلينتون فى جنيف إلى تحريك الموقف المجمد، قادت إلى تكريس الخلاف وضعت كلا من الطرفين فى وضع أقل مرونة من ذى قبل بعد أن سلطت الأضواء على تفاصيل الخلاف.

وعلى الرغم من التصريحات المتفائلة التى أعقبت لقاء وزيرى الخارجية السورية والأمريكية بالقاهرة فى الأسبوع الماضى، كان واضحا أن هناك الكثير مما ينبغى عمله قبل استئناف المفاوضات المجمدة. فالخلاف لا يقتصر على خط الحدود، وإن كان يتركز عليه الآن. وهناك تفاصيل كثيرة بشأن الترتيبات الأمنية وطبيعة العلاقة السلمية مازالت معلقة.

ولا يخفى أن السياسة الخارجية السورية بكاملها - إقليميا ودوليا - هما رهن نتائج المفاوضات مع إسرائيل. فهذه النتائج ستؤثر جوهريا على طبيعة دور سوريا العربى والإقليمى، وعلى وزنها وأهميتها كدولة، وعلى أنماط علاقاتها الدولية.

ومهما قيل عن أن نظام الحكم السورى يتسم بمركزية شديدة، فهذا لا ينفى وجود تباينات داخلية حول هذا الملف المفتوح. فهناك من يميلون إلى إغلاق الملف والمضى قدما نحو سلام مع إسرائيل، بينما يفضل آخرون التريث. كما لا يخفى أنه كانت هناك علاقة، بدرجة أو بأخرى، بين الملفين الداخلى والخارجى المفتوحين كلا على مصراعيه، حتى إذا اختلفت التقديرات بشأن طبيعة هذه العلاقة بين من اعتقدوا فى أن الرئيس الراحل أراد أن يغلق الملف الخارجى ليريح نجله منه، ويهيىء أجواء أفضل لحسم الملف الداخلى لمصلحته، وبين من رأوا أن استمرار الملف الخارجى مفتوحا يكفل توحيد الوضع الداخلى عند حسم الملف الداخلى، أو الحد من الانقسامات التى يمكن أن تترتب على تولى بشار للرئاسة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وها قد رحل الرئيس السورى تاركا الملفين مفتوحين.. وجاء رحيله مفاجئا على نحو يصعب معه تقدير التأثيرات المتبادلة بينهما ويترك أسئلة مفتوحة. فهل يوفر الإحساس بخطورة الملف الخارجى فرصة أفضل لبشار الأسد، ويحد من تحفظ المتحفظين الذين لم يسعف الوقت لتليينهم أو إبعادهم، أم سيغلب الانقسام ويفرض حلا مؤقتا أو مرحلة انتقالية دون إعلان عن ذلك، ليتولى خلالها أحد نواب الرئيس منصب الرئاسة.

وأيا كان الأمر، فالأرجح أن سوريا لن تشهد قطيعة مع عهد حافظ الأسد، وإنما استمرار له بخلاف ما مثله عصر الرئيس الراحل من انقطاع شبه تام مع المرحلة السابقة له. فقد قاد الأسد فى نوفمبر ١٩٧٠ حركة تصحيحية انقذت سوريا من حماقات نظام يسارى متطرف ووضعت برنامج عمل جديدا داخليا وخارجيا.

ونجح الأسد فى تحقيق استقرار لن تعرفه سوريا منذ أن بدأ عصر الانقلابات العسكرية عام ١٩٤٩.

أما جديد سوريا بعده فقد بدأ فى عهده، سواء داخليا أو خارجيا، حتى إذا كانت البداية حذرة، فالانفتاح الاقتصادى المتوقع استهله الرئيس الراحل، وإن كان بمعدلات صغيرة وبطيئة، وأكده عقب إعادة انتخابه فى العام الماضى، ثم أعاد تأكيده عندما أقال حكومة محمود الزعبى وواتهمها بما كان مصدر فخر قبل سنوات، وهو عدم تشجيع المستثمرين الأجانب، وإذا تحقق انفتاح اقتصادى واسع سيفرض بدوره انفتاحا سياسيا تدريجيا على الخط المعروف عربيا. وسيتواكب ذلك مع مفاوضات التسوية التى ستتقدم خطوة وتتراجع أخرى إلى أن تصل إلى غايتها.

الأسد.. فى سطور

- من مواليد ٤ اكتوبر ١٩٣٠
- رئيس لجنة الطلبة بمحافظة اللاذقية ١٩٤٠
- عضو حزب البعث الاشتراكى ١٩٤٦
- خريج الأكاديمية العسكرية ١٩٥٢
- ملازما طيارا بالقوات الجوية ١٩٥٥
- بعثة دراسية فى الاتحاد السوفيتى ١٩٥٩
- تم إبعاده عن الجيش ونقل إلى وزارة مدنية ١٩٦١
- نبلوم قيادة فى مجال الطيران ١٩٦٤
- رقى إلى رتبة لواء وعين قائدا للقوات الجوية ١٩٦٤
- الانضمام إلى القيادة العليا لحزب البعث ١٩٦٥
- المجلس الوطنى السورى ١٩٦٦
- وزيرا للدفاع ١٩٦٦
- عضو القيادة القطرية الجديد ١٩٦٦
- رتبة فريق جوى ١٩٦٨
- رئيسا لمجلس الوزراء ورئيسا للقيادة القطرية المؤقتة ١٩٧٠
- انتخب رئيسا للجمهورية ١٩٧١
- أمينا عاما للقيادة القطرية لحزب البعث ١٩٧١
- انتخب سكرتيرا لحزب البعث ١٩٧١
- رئيسا للمكتب السياسى للجبهة الوطنية ١٩٧٢
- اصابة الأسد بازمة قلبية وتلقيه العلاج فى مستشفى دمشق ١٩٨٣
- الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران يقوم باول زيارة لرئيس فرنسى لسوريا ١٩٨٤

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية